مجلة ميلاف للبحوث والدراسات
المجلد 7 العدد 1 / جوان 2021
ص ص 54–65

مصطلحا وضعية إدماجية وإدماج في التعليم
دراسة تحليلية

Terms integrating status and integration in education
An analytical study

عبد الحميد بوفاس
المركز الجامعي عبد الحفيظ بوالصوف، ميلة،، (الجزائر)،
a.boufes@centre-univ-mila.dz

الاستلام: 2021/05/09 القبول: 2021/06/17 النشر: 2021/06/30

ملخص:

يعالج هذا البحث مصطلحي وضعية إدماجية وإدماج من خلال التطرق إلى مفهومهما في المعاجم اللغوية وكذا دراسات الباحثين في المجال التربوي والبيداغوجي والديداكتيكي، مع الإشارة إلى مختلف تسميات الوضعيات الإدماجية وأنواع الإدماج وخصائصه. حيث كانت بيداغوجيا الإدماج من المقاربات المعاصرة في التعليم تطرح إشكالات في علاقتها بالكفاءة . ليخلص البحث إلى التداخل الموجود بين المفهومين اللغوي والاصطلاحي لكل من وضعية وإدماج وكذا اعتبار الإدماج معيار تحقق الكفاءة.

الكلمات المفتاحية: مقاربات التدريس ؛ وضعية ؛ وضعية إدماجية ؛ إدماج.

Abstract:

This research deals with the terms integrating status and inclusion by addressing their concept in linguistic dictionaries as well as studies of researchers in the education, pedagogy and didactics, with reference to the various designations of integrating situations, types and characteristics of inclusion. Where the pedagogy of integration was one of the contemporary approaches to education that raised problems in its relationship to competence. The research concludes with the link that exists between the two linguistic and idiomatic concepts for status and integration, as well as considering inclusion as a criterion for achieving competency.

Keywords: Teaching Approaches, status, integration Situation, Inclusion.

1. مقدمة:

إن تطوير مقاربات التدريس أمر طبيعي وضروري في الوقت ذاته، ومن ملامح ذلك التطوير أو ما يمكن أن نصطلح عليه التجديد او ما شاع مؤخرا الإصلاح هو التحول من الاهتمام بالمعرفة إلى الاهتمام بالمتعلم، ليصير هذا الأخير شريكا في العملية التعليمية التعلمية، أو يدخل في إطار ما يسمى بالعقد التعليمي .

ولعل المقاربة بالكفاءات من المقاربات التي تبلورت فيها فكرة القدرة على اكتساب معرفة أو مهارة أو سلوك أو قيمة، تكون مقرونة بالتوظيف الصحيح. إلا أن هذه الرؤية البيداغوجية والديداكتيكية لم تكن كافية باعتبار أن ما يكتسبه المتعلم يكون مجزأ ؛ أي في وضعيات تعلّمية جزئية وليست شاملة أو كلية مرتبطة بنهاية وحدة دراسية أو برنامج دراسي، ولذلك كان التفكير في بيداغوجيا يتمكن في ظلها

المتعلم من توظيف كل مكتسباته السابقة من دون هدمها وإنما إيجاد علاقات بينها ليشكل معرفة جديدة في مواقف لم يعشها ولم يشهدها، وهذا انطلاقا من التصور المقدم للمعرفة على أنها بنائية لا يلغي بعضها بعض.

وهنا ظهرت بيداغوجيا الإدماج كإطار منهجي يرسم تقديم برنامج دراسي معين، في مستوى معين، في إطار ما يسمى بالوضعيات الإدماجية . وهذا ما سيعالجه هذا البحث بالتطرق إلى الإجابة عن بعض الإشكالات المطروحة، منها: ما المقصود بالوضعية الإدماجية في اللغة والاصطلاح ؟ ما ذا نعني بالإدماج ؟ وهل تعددت اصطلاحات هذه المقاربة الجديدة ومن ثم اختلاف الرؤى ؟ أم أنها استعمالات لمفهوم واحد؟.

2- الانتقال في مقاربات التدريس:

لقد تعدّدت مقاربات التدريس في الجزائر، بدءا من المقاربة بالمضامين وصولا إلى المقاربة بالكفاءات مرورا بالمقاربة بالأهداف. وكلّ ذلك من أجل تطوير التعليم والرقي باللغة العربية اللذين يسهمان في تكوين شخصية المتعلّم والتأثير في سلوكه وإكسابه مهارات متعددة ليتمكن من التكيف مع مختلف الوضعيات والمواقف الجديدة التي لم يشهدها ولم يعشها.

ومن دون شك، فإن الانتقال من التدريس بالأهداف إلى التدريس بالكفاءات له مبرراته التربوية والبيداغوجية والعلمية، منها إهمال جوانب الإبداع والتفكير لدى المتعلّم، وإلغاء الفعل الانتقادي وتحويله إلى ردود فعل مشروطة. كما أن المقاربة بالأهداف كانت أحادية المنطلق وهو الفلسفة النفعية التي تنظر إلى المردود فقط، ولذلك لم تتفتح على مختلف نظريات التعلّم كنظرية التعلّم الاجتماعي، ونظرية التعلّم النفسي، ونظرية التعلّم المعرفي.

أضف إلى ما سبق عدم إمكانية خضوع كثير من المواقف والسلوكات إلى الملاحظة والقياس، وعدم المساواة بين المتعلّمين، وذلك ما أدى إلى تكريس فكرة النسبة المئوية في النجاح في النتائج النهائية.

ولعلّ أكبر خلل بيداغوجي هو عزل المتعلّم عن محيطه، وعدم التفاعل معه، ما أدى به – المتعلّم- إلى عدم القدرة على توظيف مكتسباته رغم تعدّدها وتنوعها.

لتأتي مقاربة أخرى هي المقاربة بالكفاءات محاولة التركيز على المتعلّم وجعله فاعلا في العملية التعليمية التعلّمية، من خلال ممارسة تعلّماته عن دراية ووعي، ليكون هذا الانتقال والتحول تصحيحا للمقاربة بالأهداف.

ولقد تمّ تطبيق المقاربة بالكفاءات في المدرسة الجزائرية ابتداء من السنة الدراسية 2004/2003 م، ومثّلها القانون التوجيهي للتربية الوطنية رقم 04-08 المؤرّخ في 23 جانفي 2008م.

وقد اعتمدت المقاربة بالكفاءات الاتجاهين السلوكي والبنائي المعرفي، ويتجلى ذلك في محافظتها على الأساليب التقويمية القائمة على الأهداف والتقدير الكمي، إلا أنها أشادت بالاتجاه البنائي القائم على الانطلاق من ذاتية المتعلّم وما يمتلكه من قدرات معرفية وذاتية، مع التركيز على الإدماج والإنجاز والتوظيف والممارسة الناجعة، ومواجهة الوضعيات من خلال إدراكها وفهمها.

وبناء على التصور السابق جاء الانتقال في ظل التدريس بالكفاءات إلى ما يعرف بوضعيات الإدماج التي تهدف إلى إكساب خبرة كلية في ميدان معيّن انطلاقا من معارف مجزّأة تلقاها المتعلم في نشاطات مختلفة وفي وضعيات مختلفة، أبرزها وضعية السؤال أو التطبيق.

إلا أنّ تلك الكفاءة الختامية التي يسعى التعليم إلى تحقيقها من خلال محتوى معين في

علاقتها بأهداف معينة، لا يمكن أن تتحقق في ظل تلك الوضعيات التي يتلقى فيها المتعلّم المعارف مجزّأة في كل نشاط . وعليه كان لزاما التفكير في بيداغوجيا تمكّن من تقويم تلك الكفاية ومعرفة ما اكتسب منها فعلا. فجاءت وضعيات الإدماج التي تعبّر عن مدى اكتساب ووعي المتعلّم للمعارف التي تلقاها في وضعيات يمكن أن نقول عنها إنها بسيطة، ليواجه وضعيات معقدة أو أكثر تعقيدا.

والمعوّل عليه أيضا في وضعيات الإدماج هو ربطها بالواقع المعيش، أي بما سيواجهه المتعلم من مواقف في حياته، ليتمكن من التأقلم معها.

ولعلّ الجديد في تلك الوضعيات هو تنوعها بين وضعيات يتم فيها إدماج المكتسبات السابقة في مواد دراسية متنوعة واختبارها من خلال إنجاز ملخص أو فقرة أو نص نثري أو نص شعري، ووضعيات يتم فيها التقويم، وهنا ظهر مصطلح شبكات التقويم . لنقف على طريقة جديدة في عملية التقويم الذي يعتمد أساسا على شخصية المتعلم، أي أنّ المتعلّم هو من يقوّم نفسه، من خلال مقارنة ما أنجزه من عمل أدمج فيه مكتسباته بمجموع معايير ومؤشرات توضع في شبكة التقويم، من ذلك: الوجاهة وسلامة اللغة والانسجام والإتقان. وكلّ معيار من هذه المعايير له مؤشرات ترتبط بميدان التعليم، منها: مدى توظيف المعرفة النحوية، مدى احترام قواعد اللغة، مدى تسلسل الأفكار مدى حسن عرض النص، وغيرها من المؤشرات.

وإذا نظرنا نظرة أوّلية في بيداغوجيا الإدماج نجدها- حسب رأي الباحثين - جاءت في ظروف وجيزة ومفاجئة، في ظلّ الضغوط الخارجية وضغوط اليونسكو قصد مراجعة برامج التعليم وبناء مناهج جديدة تستجيب للمتطلبات العالمية الراهنة.

بمعنى انه لم تُوفر الظروف اللازمة لتجسيد بيداغوجيا الإدماج، سواء على مستوى تكوين وتأهيل المعلّمين والأساتذة، أو النظر في الوسائل والإمكانات اللازمة لتحقيق تلك الوضعيات، أو دراسة تلك الوضعيات في علاقاتها بحاجات المتعلّم من جهة، وخصوصيات المجتمع الجزائري، من جهة أخرى . وهذا طرح جديد في بيداغوجيا الإدماج التي تميل إلى إكساب القيم. وهذا يتطلب الاهتمام بقضايا الانتماء الحضاري والثقافي والالتزام بقضايا المجتمع المحلي.

فالمضمون في الكتاب المدرسي أكبر سلطة محرّكة للفعل التربوي إضافة إلى المعلّم، وعليه وجب أن يكون المضمون حمّال قيم، لتتشكّل من خلاله تصورات معيّنة حول الذات والحياة. فالتعليم هو نتاج مجتمعي بالدرجة الأولى، يجب أن تنسجم أهدافه واستراتيجياته مع أهداف واستراتيجيات المجتمع الأصل.

وعليه فإنّ الظروف المفاجئة وصعوبة تحقيق وتجسيد تلك الوضعيات وعدم التأهيل الكافي جعل أسئلة المعلّمين والأساتذة والمفتشين والتربويين تطرح بكثرة حول كيفية تطبيق تلك الوضعيات حتى تكون ذات مغزى، لأن الوظيفة العملية أو الجانب التطبيقي هو الذي يغدو حاسما في الموضوع.

3. تعريف مصطلح وضعية:

ورد في اللسان: " وضع الشيء في المكان أثبته فيه. وتقول في الحجر واللبِن: إذا بني به ضَعْه غير هذه الوَضعة والوِضعة. " (ابن منظور، د ت، ص 4859) . وعليه فإن الفعل وضع بالتخفيف اقترن بمعنى اثبات الشيء في موضع أو مكان معين، إضافة إلى معنى البناء في وضعيات مختلفة.

ويذكر ابن منظور الفعل وضّع بالتشديد، ويتضح ذلك في قوله: "ووضَّع الباني الحجر توضيعا نضّد بعضه على بعض." (ابن منظور، د ت، ص 4859) ليدل المصدر (التوضيع) على التنسيق والترتيب، حيث اقترن بالفعل المشدد

أيضا (نضّد)، وهو لا يختلف في معناه عن نضد بالتخفيف، الدال على الجمع والضم في شكل متسق .

ليدل الفعل وضع في بعض المعاجم المعاصرة على التأليف، فقد جاء في المنجد قوله " وضع الكتاب ألفه." (لويس، 2009، ص 905).

وقد يجمع الفعل وضع في معناه بين ما هو مادي ومعنوي في الوقت نفسه، وذلك ما أشار إليه القاموس الجديد للطلاب " الوضعية الحالة التي يوجد عليها الإنسان." (بن هادية وآخرون، 1991، ص1332)

4-تعريف الإدماج في المعاجم:

ورد في اللسان " أدمج الحبل أجاد فتله، وقيل أحكم فتله في دقة ... ودمجت الماشطة الشعر دمجا، وأدمجته: ضفرته... ونقول الأعضاء مدمجة كأنها أدمجت ومُلِسَت كما تُدمج الماشطة مشطة المرأة إذا ضفرت ذوائبها، وكل ضفيرة منها على حيالها تسمى دمَجا واحدا." (ابن منظور، د ت، 1419/9)

نلاحظ استعمال الفعل المزيد بحرف (أدمج) الذي مصدره (إدماج) وكذا الالثلاثي المجرد (دمج) الذي مصدره (دمْج) للدلالة على ما هو مادي :

– إحكام الفتل ودقته في ما هو مادي (الحبل).

– ضفر الشَّعر وربطه.

– ملس الأعضاء وتشبيهها بصفر الذوائب، أي صارت ملساء مزالة التجاعيد، وفي ذلك إيحاء بصورة التداخل والانسجام .

كما تختص الدلالة بما هو مادي ومعنوي على غير تحديد في الفعل المزيد بحرفين (ادّمج) و(اندمج)، " وادّمج في الشيء ادماجا، واندمج اندماجا إذا دخل فيه." (ابن منظور، د ت، 1420/9)

ليكون المعنى وصفا لما هو معنوي (الصلح) " والصلح الدُّماج بالضم، وهو الذي كأنه في خفاء، ويقال هو التام المحكم ." (ابن منظور، د ت، 1419/9) ليوحي التمام والإحكام في الصلح بمراعاة جميع الجزئيات والحالات، وفي ذلك دلالة على الشمول لكل ما يمكن أن يؤسس لفكرة الصلح.

ونجد معنى شبيها بما سبق، بتوظيف مصدر آخر (الدُّموج) " والدُّموج دخول الشيء في الشيء، ومنه حديث زينب: انها كانت تكره النّقط والإطراف، إلّا ان تدمُجَ اليدُ دمجا في الخضاب، أي تعمّ جميع اليد." (ابن منظور، د ت، 1419/9) فدمج اليد في الخضاب يكون بشملها كلها، من كف وأصابع.

كما جاء المصدر دُموجا بالتخفيف من الفعل الثلاثي المجرد (دمج) " ودمج يدمُج دموجا الشيء: دخل واستحكم فيه." (ابن منظور، د ت، ص 346) وهو يحمل دلالة الانسجام والتركيب.

واستعمل الفعل المزيد بحرف (أدمج) الذي مصدره(إدماج) بمعنى الخلط، وذلك ما وظفه القاموس الجديد للطلاب ،أدمج يدمج إدماجا الشيء في الشيء: خلطه به ."و(بن هادية وآخرون، 1991، ص25) في ذلك دلالة على المداخلة بين شيئين مع صعوبة الفصل بينهما.

والمعنى المذكور في لسان العرب لابن منظور نجد له استعمالا مطابقا في معجم سابق له في الظهور وهو القاموس المحيط، حيث يقول الفيروزآبادي " دمج دموجا: دخل في الشيء واستحكم فيه ." (الفيروزآبادي، 2010، ص 173)

أمّا عن المعاني المستعملة في ترجمة المصطلح الأجنبي intégration الذي يقابله بالعربية مصطلح إدماج، فنذكر ما جاء في المنهل: (سهيل وصبحي، 2010، ص 665)

– تكامل (عملية التكامل) مصطلح علمي رياضي.

– دمج، توحيد.

– اكتتال، تكامل عضوي (تساوق نشاطات عدة أعضاء لتأدية عمل معين) مصطلح فيزيولوجي .

– تكامل ((نظر إلى الإنسان كوحدة نفسية حسية لا تتجزّأ) مصطلح نفسي.

– تركز صناعي (اندماج عدد من الصناعات المتفاوتة النمو في كتلة واحدة).

من خلال الترجمة الواردة في قاموس المنهل نلاحظ ما يأتي:

– مقابلة المصطلح الأجنبي intégration بالمصطلح العربي إدماج إلا أنه أثناء تقديم مختلف الدلالات نعثر على توظيف مصطلحي: دمْج واندماج.

– تعدد مجالات الاستعمال، ما نجم عنه تعدد طبيعة المصطلح ؛ فكان منه: العلمي الرياضي، الفيزيولوجي، النفسي والاقتصادي.

– تمحور الدلالات حول: التكامل، الكلية، الشمولية، التناسق والتلاؤم (التساوق).

ويقابل المعجم التربوي أيضا، مصطلح إدماج بالمصطلح الأجنبي "intégration" ويقرنه بإدماج بيئات أو فئات ضمن بيئة معينة، فقد ورد في هذا التصور أن الإدماج هو:

– " تربية وتعليم التلاميذ غير العاديين في المدارس العادية مع تزويدهم بخدمات التربية الخاصة.

– استخدام اعتيادي ومستمر للابتكار التعليمي في بيئة وثقافة منظمة.

كما اقترن بتوظيف التعلمات الناجمة عن تقاطع المواد والوحدات الدراسية:

– قدرة المتعلم على توظيف عدة تعلمات سابقة منفصلة في بناء جديد متكامل وذي معنى، غالبا ما يتم هذا التعلم الجديد نتيجة التقاطعات التي تحدث بين مختلف المواد والوحدات الدراسية." (ملحقة سعيدة الجهوية، 2009، ص 81).

– ليشير إلى فكرة إدماج المواد الدراسية intégration des matières، ليفرق بين نوعين من الإدماج على مستوى المواد ؛ فمنها ما هو متقارب، ومنها ما هو غير متقارب. " يعني إزالة الحواجز بين المواد الدراسية المختلفة، كرد فعل لتزايد مجالات الدراسة، وتعدد المواد المقدمة للتلاميذ، بحيث تبدو في مقررات واحدة .يتخذ الإدماج صورتين، الأولى: إدماج المواد المتقاربة، مثل: المواد الاجتماعية، العلوم واللغات، والثانية: إدماج مجموعات غير متقاربة، مثل: التاريخ والأدب، يطلق عادة مصطلح المجالات الواسعة على الصورة الأولى، ويطلق على الثانية المنهج المندمج." (ملحقة سعيدة الجهوية، 2009، ص 81، 82).

5-مفهوم الإدماج عند الدارسين:

يشير الباحث (عبد الكريم غريب) في تعريفه الإدماج إلى فكرة إنشاء علاقات بين مختلف التعلّمات قصد الوصول في النهاية إلى حل ما يعرف بالوضعيات المركبة، ولا يتحقق ذلك إلا بتعبئة المعارف والمهارات المكتسبة من قبل. (غريب، 2011، ص 172)

ويفرق الباحث بين ثلاثة أنواع من المجالات يمكن ان نوظف فيها الإدماج، وهي: البيداغوجي، الديداكتيكي والتربوي.

ويرتبط الإدماج في المجال البيداغوجي بعملية تقييم التفاعل بين مجموعة من العناصر، قصد تكوين كل منسجم من هذه العناصر. وقد يقترن بإدماج عنصر جديد بكيفية تجعله منسجما مع العناصر الأخرى . (غريب، 2011، ص 169)

أمّا في المجال الديداكتيكي فإن الإدماج يكون بين موضوعات دراسية مختلفة في مجال معين أو في مجالات مختلفة، تتم فيها عملية تصميم التعليم والتعلم. كما يعني كذلك توزيعا مرنا ومتنوعا للمواد الدراسية في فصل أو مدرسة ما

بكيفيـة تراعـي قـدرات وحاجـات المتعلمـين. (غريب، 2011، ص 169)

وفي خصوص الإدماج في مجال التربية، فهو يفيد عملية توحيد بين المؤسسات المدرسية التي تضم الأطفال العاديين والأطفال المتخلفين او المعاقين أو ذوي الحاجات الخاصة، كما يفيد كذلك إزالة الحـواجز بين المواد الدراسـية. (غريب، 2011، ص 169)

ويتنوع مشروع الإدماج في مجال التربية الخاصة بين ما هو فردي، وما هو جماعي بالنسبة لأطفال ذوي صعوبات التعلم، كما تختلف فترة إنجاز ذلك المشروع بين مدة قصيرة وأخرى طويلة. (غريب، 2011، ص 169)

وعليه يتم دمج المتعلمين العاديين الذين لا يعانون من أي مشكل في التعلم مع باقي المتعلمين ممن يمكن ملاحظة عليهم بعض الصعوبات في التعلم أو الإعاقات في مدرسة واحدة وأقسام واحدة.

وبفصّل عبد الكريم غريب في الإدماج في المجال البيداغوجي، ليتحدث عن أنواع مختلفة من الإدماج ترتبط بـ: التدريس، المهارات، المواد التعليمية، والتعلّمات.

" يحيل مفهوم الإدماج أيضا داخل المجال البيداغوجي على ثراء كبير في توظيفه واستعماله، حيث نتحدث عن:

– إدماج التدريس: intégration de l'enseignement الذي يفيد أساس مقاربة بيداغوجية تمكن من تلاقي المواد وتداخلها لإغناء وتنظيم تعليم التلاميذ خاصة العمل الجماعي للتحاور وتبادل الخبرة حول خطط التعليم وطرائقه .

– إدماج المهارات: intégration des habiletés باعتبارها عملية ربط ومزج بين المهارات التي تنتمي إلى مجال معين من مجالات نمو الفرد أو إلى مجالات مختلفة.

– إدماج المواد التعليمية intégration des matières الذي يفيد عملية المزج بين محتويات تعليمية متنوعة تنتمي إلى المادة نفسها أو إلى مواد مختلفة. قصد حل مشكل أو دراسة موضوع أو تنمية مهارة." (غريب، 2011، ص 170)

– ويشكل إدماج التعلمات intégration des apprentissages أحد المفاهيم المحورية داخل المجال البيداغوجي، وهو يفيد إدماج أو المزج بين مختلف المواد والمهارات اللازمة لتربية الفرد، كما يعبر عن استدماج المتعلم لمحتويات ومهارات جديدة تمثلها وأدمجها في بنية الداخلية. ويستند كذلك الإدماج التعلمي إلى مسلمة ترى أن المعارف تشكل كلا منطقيا منظما وتعتبر التعلم حل مشكلات بواسطة المعارف والمهارات المكتسبة." (غريب، 2011، ص 170)

ويشير الباحث (الوافي عزيز) إلى أنواع مختلفة من الإدماج شبيهة بما جاء في المعجم التربوي، حيث يتحدث عن مجالات توظيف الإدماج، ليذكر منها: الفيزيولوجيا، الإعلاميات، الرياضيات والاقتصاد، فيقول: " بالإدماج نقوم بإلحاق عنصر معين ندرجه ضمن مجموعة يصير جزءا لا يتجزا منها، ويستعمل مصطلح الإدماج في مجال الفيزيولوجيا حيث يدمج الجهاز العصبي باستمرار معلومات مختلفة بهدف تحقيق اشتغال متجانس للجسم. وفي حقل الإعلاميات تدمج معطيات من أجل إنجاز سلسلة مركبة من العمليات. وفي الرياضيات نقوم بحل تكاملات، وفي الاقتصاد تندمج مقاولات تتموقع في مستويات مختلفة من سيرورة الإنتاج." (أوزي وآخرون، 2011، ص 109)

وإذا كانت المعارف والمهارات والمواقف محل تعلّم من طرف التلاميذ، فإن الإدماج يهدف إلى الربط بين تلك العناصر، ويجعل لها دلالة

ووظيفة، يقول (لحسن مادي) معرفا الإدماج: " هو تجميع الموارد (المعارف، المهارات، المواقف...) المتفرقة، وجعل علاقات منظمة بينها، وترتيبها بكيفية ملائمة، حيث تصبح ذات معنى ووظيفية، ويمكن استخدامها بطريقة ضمنية لحل وضعية – مشكلة أو إنجاز مهمة مركبة –" (أوزي وآخرون، 2011، ص 14)

ولا يقترن الإدماج بلحظة معينة أو موقف معين فقط، بل يمتد عبر أنشطة وتعلمات ليشمل مواقف جديدة . وفي هذا التصور ينقل لنا الباحث السابق تعريفا للإدماج حسب المركز العالمي للتربية بكيبيك، والمتمثل في كون الإدماج " سيرورة يربط من خلالها المتعلم معارفه السابقة بالمعارف الجديدة، فيعيد بالتالي بناء عالمه المعرفي، ويطبق المعارف التي اكتسبها في وضعيات جديدة ملموسة." (أوزي وآخرون، 2011، ص 14)

وعليه فإن عملية الإدماج لا تقصي من التصور المعارف السابقة أو القديمة وإنما يتم الربط بينها والمعرفة الجديدة لتشكيل تعلمات جديدة توظف في وضعيات وظيفية لم يعشها المتعلم من قبل.

ولا يمكن أن نتصور في عملية الإدماج وجود اختلاف بين الموضوعات الدراسية، سواء أكانت تنتمي لمجال واحد أم لمجالات مختلفة . وبذلك يمكن القول أن الإدماج في مجال التعليم هو " الربط بين موضوعات دراسية مختلفة من مجال معين او مجالات مختلفة .

ونشاط الإدماج هو الذي يساعد على إزالة الحواجز بين المواد، وإعادة استثمار مكتسبات المتعلم المدرسية في وضعية ذات معنى، وهذا ما يدعى بإدماج المكتسبات أو الإدماج السياقي." (أوزي وآخرون، 2011، ص 14)

ولا ينفصل الإدماج عن الكفاية " فكل كفاية هي عبارة عن بنية ذهنية يمتلكها المتعلم، فعندما نصف كفاية ما، فإننا نتحدث عن بنية مكونة من معارف، ومهارات، وإجراءات، وأساليب تتيح أداء مهام معينة، وهي بذلك ليست معارف نطبقها كما نتصور في التعلم، بل هي كل ما يتيح حل المشكلات في سياق خاص عن طريق تحريك مختلف القدرات بكيفية مندمجة." (أوزي وآخرون، 2011، ص 12)

كما يرتبط الإدماج في العملية التعليمية بالنشاط الذهني للمتعلم، وهنا يمكن أن نستحضر ذلك المجال الذي يكون فيه الإدماج – حسب ما أشار إليه الباحثون فيما سبق- وهو المجال الفيزيولوجي.

وبما أن الإدماج يقترن بالنشاط الذهني فإن هذا يقودنا إلى الحديث عن تعلق الإدماج بشخصية المتعلم أو سمة الفردية لا الجماعية، ليكون بذلك الإدماج "سيرورة ذهنية شخصية تقوم على :

– ربط علاقات بين تعلمات اكتسبها المتعلم بطريقة مجزأة.

– التنسيق بينها من أجل حل وضعية مركبة، إنه السيرورة التي يدمج بها المتعلم معارفه السابقة بمعارفه الجديدة، ويربط بينها ليعيد هيكلة خطاطاته وتمثلاته الداخلية، ويطبق كل ما اكتسبه على وضعيات جديدة ملموسة ودالة." (أوزي وآخرون، 2011، ص 72)

بمعنى ان المتعلم يوظف جملة من القدرات والمهارات والمعارف السابقة في فهم معرفة جديدة . " وهكذا يغدو الإدماج عملية مركبة تستدعي قيام المتعلم استنفار كل مكتسباته من أجل حل وضعية مشكلة هي بمثابة هدف الإدماج النهائي." (أوزي وآخرون، 2011، ص 91)

وهنا يتضح لنا الهدف من استحضار المعارف السابقة وتوظيف كل المهارات والقدرات المكتسبة، وهو أن يكون المتعلم قادرا على حل مشكلة تواجهه، وهذه المشكلة هي نتاج مركب لمجموع الموارد المكتسبة في سياق جديد.

إن المتأمل في الوضعيات الإدماجية في مرحلة التعليم المتوسط لا يجد بالضرورة ما يسمى بالوضعية المشكلة، فالإدماج في نهايته قد يتعلق بالقدرة على تحرير موضوع يلتزم فيه التلميذ بجملة من التعليمات، كما قد يكون التعبير عن موقف أو سلوك أو تمثل قيمة، وعليه يمكن أن نقول إن الإدماج " بشكل عام هو ايجاد روابط بين التعلمات من أجل تقديم عمل مركب عبر وضعية ادماجية كسياق اساسي وحصري وذلك بتعبئة الموارد بشكل مدمج انطلاقا من شبكة الموارد التي تلقاها الطفل وكونها بشكل منفصل في مرحلة سابقة (فترة التعلمات المجزاة التي هي الدروس العادية)." (أوزي وآخرون، 2011، ص 33)

6-الوضعية الإدماجية:

ينبغي أن نشير إلى وجود مصطلحات متعددة مقابلة لمصطلح " وضعية إدماجية"، من ذلك: الوضعية المشكلة (المشكل)، الوضعية المسألة، وضعيات إعادة الاستثمار، الوضعية المركبة، الوضعية السياقية.

6-1- الوضعية المشكلة (المشكل)

الوضعية المشكلة، هي " كل وضعية ديداكتيكية تقترح فهل على المتعلم مهمة لا يمكن أن ينجزها إنجازا جيدا دون تعلّم يشكل الهدف الحقيقي للوضعية/ المشكلة، ولا يتحقق هذا الهدف/ التعلم، إلا بإزاحة العوائق أثناء إنجاز المهمة." (أوزي وآخرون، 2011، ص 15)

وعليه تقترن الوضعية المشكلة (المشكل) بالمهمة التي يكلف التلميذ بإنجازها في نهاية محور أو مقطع دراسي أو برنامج سنوي، لتكون تلك المهمة صعبة الإنجاز إن لم تكن للمتعلم مكتسبات سابقة أو مجزأة يتم تجميعها في موقف تعلمي جديد، بحث تواجه المتعلم عراقيل وجب عليه توظيف كل معارفه ومهاراته وقدراته من أجل إزاحتها.

ويمكن أن نلاحظ أن الوضعية المشكلة (المشكل) هي الوضعية الإدماجية نفسها، " الوضعية المشكل التي يوضع الطفل في سياقها فهي الوضعية الإدماجية. وسميت بهذا الاسم لأن المتعلم يكتسب معلومات متفرقة من خلال الدروس العادية كالقراءة والتراكيب والصرف والتحويل ثم يتوقف لحظة عن الدراسة لا يتعلم فيها شيئا وإنما نضعه أمام وضعية مشكل وهي الوضعية الإدماجية قصد معرفة قدرته على دمج وتحريك المعارف التي تلقاها سابقا من أجل إيجاد الحلول." (أوزي وآخرون، 2011، ص 30)

ولتوضيح ما سبق حول اكتساب المتعلم مفهوما معينا، ثم مهارة تتعلق بذلك المفهوم وفي الأخير القدرة على توظيف ذلك المفهوم دون غيره من المفاهيم الأخرى، فإننا نمصل لذلك بعملية حسابية وهي الضرب (الجداء). " فحينما نقدم للتلميذ معارف savoirs كمستوى أول من الأهداف (مفهوم الضرب في الرياضيات عبر أمثلة محسوسة) ثم ننتقل به إلى المستوى الهدفي الثاني الذي هو المهارات أو التقنيات savoir faire (نملك كيفية ضرب عددين أو ثلاثة أي امتلاك تقنية الضرب) ثم الوصول إلى المستوى الثالث من الأهداف الذي هو السلوكات savoir- être حيث يصبح التلميذ عارفا متى يستعمل الضرب وما هو الموقف الذي يستعمل فيه الضرب أو الجمع أو... لكن هذه كلها أهداف. ومن الضروري أن يتحكم فيها التلميذ ولكننا لم نضعه أمام مشكل حقيقي لمعرفة كفايته التي يستعمل فيها الضرب أو الجمع أو الطرح أو القسمة. فنحن قد زودناه بشبكة موارد ولكننا لم نضمن استعمالها على الوجه الصحيح إلا إذا جربناه في وضعية مشكل يسميها أنصار البيداغوجيا الوضعية الإدماجية." (أوزي وآخرون، 2011، ص 30)

2-6- الوضعية المسألة situation problème

إن هـذا الاصـطلاح لا يختلـف عـن سـابقه (الوضعية المشكلة)، ويتضح لنا ذلك من خلال بعض التعريفات المتداولة في أدبيات التربية، حيث " تعد الوضعية المسألة أنسب وسيلة لأجرأة المقاربة بالكفايات لأنها تفيد دائما عملية بنائية يقوم فيها المتعلم بالإدماج بين تعلّمات مختلفة لحل مشكل معيّن ولا بد من التذكير بأنه لا توصف وضعية معينة بأنها مشكلة ما لم تتضمن عوائق بالنسبة إلى المتعلم، ومن هذه العوائق:

- أن تكون الوضعية جديدة بالنسبة للمتعلم.
- أن تتطلب من المتعلم إنتاج شيء معين أو حل مشكلة للبرهنة على تعلمه.
- أن يكون إنتاجه جديدا بحيث لا يكرر تعلمات سابقة بكيفية آلية ." (أوزي وآخرون، 2011، ص 30)

لعلّ هذا التعريف لا يختلف عن سابقه إلا في شرح التسمية التي اقترنت بوجود عوائق أثناء إنجاز مهمة أو حل مسألة، وهنا نشير إلى أن المسألة ليست بالضرورة طرح سؤال أو إشكال، وإنما هي ما يتعلق بإنتاج شيء جديد لم يكن متوفرا لدى المتعلم، أو البرهنة على فكرة تقتضي إعمال الفكر وتجميع المعارف، أو إشكالا يطرح عليه في بداية المقطع الدراسي ليجيب عنه في موقف تعلمي جديد. وبذلك تصير الوضعية المشكل " تصورا ومنهجا جديدا لتدبير عملية التعليم والتعلم، يقوم أساسا على اعتبار المشكل استراتيجية لهذه العملية الأخيرة . بمعنى أن الوضعيات الديداكتيكية تعد وتنظم في ضوء المسار الذي يقطعه المتعلم – وليس الهدف كما تصر السلوكية- لاكتساب المعرفة وبنائها من خلال مواجهتها لها، وإيجابيا يترجم سعي المتعلم للوصول إلى المعرفة." (بيشو، 2010، ص 76).

إنّ الحديث عن العوائق من الأمور المهمة التي يجب التعمق في دراستها في مجال التعليمية، ذلك أن العوائق تختلف ؛ فقد تكون معرفية تتعلق بالمحتوى، وقد تكون العوائق ذاتية . وإذا كانت من النوع الأول فإن التركيز ينصب على المعرفة وكيفية بنائها، في حين إذا كانت من النوع الثاني فإن التركيز ينصب على المتعلّم ذاته، وهما أمران وجب التمييز بينهما وإثراؤهما بالبحث والتحليل.

وينقل لنا (عبد القادر لورسي) بعض خصائص العائق التي أشار إليها (باشلار bachelard)، من ذلك الطابعان الداخلي والوضعي للعائق، فيقول في الأول :" العائق هو ما يقف أمام الشيء، هو ما يغلق او يسد الطريق، فالعوائق هي قبل كل شيء داخلية وليست ما يصطدم به الفكر، بل تكمن في الفكر نفسه، في الكلمات، في التجربة اليومية، في اللاشعور... فالخطأ هو إذن جزء لا يتجزأ من الفعل المعرفي نفسه." (لورسي، 2015، ص222)

ويقول في سمة الطابع الوضعي للعائق :" العائق ليس هو الفراغ الذي يخلقه الجهل ولكن في واقع الأمر هو شكل للمعرفة، فهو بالأحرى زاد من المعارف المتوفرة والموجودة جاهزة والتي تمنع أو تعترض بناء معارف جديدة. وبالمعنى الشائع فإن العائق هو الفعل المتمثل في توفر إجابة فورية لكل شيء في الوقت الذي يجب فيه تعليق الحكم." (لورسي، 2015، ص223)

3-6-الوضعية الإدماجية:

الوضعية الإدماجية هي " المجال الذي يتيح الفرصة للتلميذ لإبراز كفايته عكس التمارين البسيطة التي لا تظهر إلا أهدافا متحكما فيها من خلال موارد مجزأة تلقاها التلميذ في مواد معينة، كأن يدرس حرف الباء ثم يطلب منه رسمه او نطقه بعد التعرف عليه ضمن الكلمة

والجملة في المستوى الأول، مثلا أو يقوم بإدخال الناسخ الفعلي أو الحرفي على الجملة في مستوى أعلى. أمّا سياق العمل المركب فهو الوضعية الإدماجية." (أوزي وآخرون، 2011، ص 32)

ترتبط الوضعية الإدماجية بمفهوم هذا الأخير الذي يتجاوز المعارف المجزأة في نشاط تعليمي تعلّمي كالتمارين مثلا، إلى عملية تركيب في مستوى معقد وجديد.

4-6-وضعيات إعادة الاستثمار

وضعيات الإدماج تسمى أيضا " **وضعيات إعادة الاستثمار** . هي مجموعة معلومات وبيانات مقدمة ضمن سياق تتطلب من المتعلم إيجاد التمفصلات لربطها وتنسيقها من أجل إنجاز مُهمة محددة منتوجها غير معروف مسبقا." (أوزي وآخرون، 2011، ص 112)

إنّ عملية اكتساب المعرفة وإنتاجها شبيهة بالسلعة ولذلك يطلق على التعلمات والمهارات والمعارف والقيم والتمثلات مصطلح الموارد، فهي بمثابة مصادر للإنتاج، وهذا الأخير لا يتحقق إلا بفعل الاستثمار المعتمد على الجمع والتركيب وإيجاد علاقات وروابط بين تلك الروافد لتقديم منتوج جديد لا يكون متاحا سلفا للمتعلم.

5-6-الوضعية المركبة:

تسمى الوضعية الإدماجية بالوضعية المركبة، فلو طلبنا من التلميذ مثلا مساعدة والده الذي اشترى عدة منتوجات من المعرض الإقليمي للصناعة الإقليمية، الذي ينظم سنويا بمنطقة معينة، وأراد بيعها بربح معين في متجره الصغير، إذ المطلوب من التلميذ هو حل المشكل باستخدام بعض أو كل الموارد من الشبكة التي أصبح يمتلكها (الضرب- الجمع – القسمة- الطرح ، حيث يركب التلميذ موارد هذه الشبكة répertoire . (أوزي وآخرون، 2011، ص 30)

فعملية حساب الربح المحقق من بيع السلعة يتطلب استحضار مجموع عمليات حسابية، هي بمثابة تعلمات جزئية تلقاها التلميذ في دروس أو مواضيع مجزأة (متفرقة) تتمثل في عمليات: الجمع، الطرح، الضرب، القسمة، لتتضح مدى قدرة التلميذ على توظيف تلك العمليات والتمييز بينها في موقف جديد لم يشهده من قبل.

6-6-وضعية سياقية:

لعلّ تسمية الوضعية الإدماجية الوضعية السياقية كان من باب الظروف أو الشروط التي تساق فيها المعرفة وتتم فيها التعلمات وتساعد عليها. " فلكل وضعية سياق، وهو البيئة التي تتم فيها الوضعية، وهو الإطار الذي تدور فيه الوضعية، وغالبا ما يتم وصف السياق في نص تمهيدي أو رسم توضيحي. والسياق يتعلق بمحتوى المسألة وليس بحلها." (أوزي وآخرون، 2011، ص 114)

إذن، يقترن السياق بمحتوى الوضعية، وعليه يمكن أن نعتبره من عناصر الوضعية الإدماجية لا الوضعية الإدماجية نفسها .

وإذا كان السياق متعلقا بالبيئة المتحكمة في تصميم المحتويات الدراسية، فإنه وجب أن تكون هذه الأخيرة مناسبة لشخصية المتعلم في مرحلة تعليمية معينة، وأن تكون خادمة الأهداف المسطرة من تعليمها وكذا محققة الكفاءات المحددة في نهاية كل نشاط تعليمي أو مقطع تعليمي أو برنامج دراسي. وبذلك فإن " السياق يتدخل بقوة في القيم المراد تمريرها، الأمر الذي يتطلب من المصمم أو الواضع اختيار الموضوعات والصور والدعامات بعناية بالغة حتى لا تكون تبعات بخصوص تمثلات المتعلمين . وكل سياق يتضمن معطيات وهي المعلومات التي من شأنها أن تتدخل في حل الوضعية . وهذه المعطيات قد تكون رقمية أو غير رقمية، جماعية أو فردية، وقد تكون أحيانا مشوشة، وأحيانا ينبغي تحويلها قبل استغلالها. وعلى

السياق أن يحدد المهمة المطلوبة من التلميذ، وأن يكون من مستوى المتعلمين . وحجمه يتدرج حسب التقدم في التعلمات من سنة إلى أخرى وكذلك لغة السياق تنتمي إلى قاموس لغة التلميذ." (أوزي وآخرون، 2011، ص 114)

7-نتائج البحث:

من خلال عرض التعريفات اللغوية والاصطلاحية لمصطلحي وضعية إدماجية وإدماج في المعاجم والقواميس ودراسات الباحثين في مجالات التربية والبيداغوجيا والديداكتيك، أمكننا التوصل إلى النتائج الآتية:

– ارتباط مصطلح وضعية بمعاني: البناء، التنضيد، التنسيق، الترتيب والتأليف.

– دلالة مصطلح وضعية على ما هو مادي صرف، أو ما هو معنوي صرف، وأحايين أخرى على ما هو مادي ومعنوي في الوقت نفسه.

– دلالة مصطلح إدماج على معاني: التداخل، الانسجام، التمام، الإحكام، الشمول، الكلية، الخلط، التداخل، التكامل، الشمولية، التناسق والتلاؤم .

– ارتباط الإدماج بما هو مادي صرف، أو ما هو معنوي صرف، أو ما هو مادي ومعنوي في الوقت نفسه.

– تعدد الأفعال اللغوية الدالة على المعاني السابقة، فمنها: دمج وأدمج، وادّمج، واندمج.

– تعدد المصادر اللغوية المستعملة فقد جاء منها: الدمج، الدّموج، دموج (بالتخفيف)، الإدماج، اندماج.

– الارتباط الوثيق بين التعريفين اللغوي والاصطلاحي لمصطلح إدماج، حيث لم يخرج هذا الأخير عن محموع المعاني التي حددتها المعاجم اللغوية والتربوية .

– تعدد مسميات الوضعية الإدماجية، وتنوعت بين: وضعية مشكلة (مشكل)، وضعية مسألة، وضعية مركبة، وضعية سياقية، وضعية استثمار المعارف. وقد كان هذا الاختلاف على مستوى التسمية فقط إلا أنه تقارب أو اتفق في المفهوم والتصور.

– تعددت مجالات الإدماج فكان منها: الفيزيولوجي، والنفسي، والعلمي الرياضي، والإعلامي والاقتصادي، وذلك باختلاف العناصر المدمجة .

– تنوع الإدماج فكان منه: التربوي والبيداغوجي والديداكتيكي.

– تنوع الإدماج فكان منه: إدماج التدريس، إدماج التعلمات، إدماج المهارات وإدماج المواد التعليمية، وذلك أمر طبيعي تقتضيه طبيعة العملية التعليمية التعلمية المشتملة على مضامين دراسية ضمن مواد تقدم للمتعلم معارف وتعلمات ومهارات، وكلها موارد يستجمعها المتعلم في عملية الإدماج .

– يقترن الإدماج بالزمن أي بالسيرورة، التي تجعل المعرفة تبنى في نهاية مقطع دراسي أو مادة دراسية او برنامج دراسي.

– يتميز الإدماج بالجدة، فالوضعيات الإدماجية هي وضعيات جديدة، يقدم فيها المتعلم شيئا جديدا أو حلا لمسألة أو برهنة على فكرة لم يكن كل من هذه الوظائف متوفرا في المراحل الأولى من التعلم.

– تتميز الوضعيات الإدماجية بالتركيب والتعقيد أحيانا، وتختلف عن التمارين البسيطة .

– تحمل الوضعيات الإدماجية دلالة بالنسبة للمتعلم ؛ فهي وظيفية تسهم في منحه القدرة على التفاعل والتأقلم مع وضعيات جديدة لم يعشها من قبل .

– لا تنفصل عملية الإدماج عن الكفاءة المستهدفة، فالإدماج هو معيار لإثبات تحقق كفاءة ما.

8. خاتمة:

تعدّ الوضعيات الإدماجية في التعليم من المقاربات البيداغوجية الحديثة التي اعتمدتها الدول العربية ومنها الجزائر في المقرر الدراسي، وهي ما تزال مقاربة غامضة ومرد ذلك إلى التطبيق المفاجيء لها مع عدم القيام بتكوين فعلي للمكلفين بالتدريس والبيداغوجيين الساهرين على العملية التربوية، أضف إلى ذلك اختلاف الرؤية في كون المقاربة بالإدماج امتدادا للمقاربة بالكفاءات أم أنها مقاربة منفصلة عنها. والإشكال الرئيس الذي وجبت الإشارة إليه هو تبني منهاج اللغة العربية مصطلح الوضعية المشكل الذي استعمله (كزافي روجيرس Xavier Roegiers) مع اللبس في فهم مصطلح المشكل (المشكلة) ما نجم عنه اختلاف في اختيار الوضعيات الإدماجية واختلاف في طريقة تدريسها، وهذا يلزمنا توحيد الرؤية لتلك المقاربة حتى تحقق الأهداف المنشودة من تدريس مادة تعليمية أو برنامج دراسي، وأيضا الإكثار من الدراسات والأبحاث حول هذه المقاربة الجديدة، لأن ميدان البحث في بيداغوجيا الإدماج يعاني قلة المصادر والمراجع إن لم نقل ندرتها.

9. قائمة المراجع:

***المعاجم:**

1- إدريس سهيل وصبحي الصالح (2010)، المنهل، قاموس فرنسي عربي، ط(01)، منشورات، دار الآداب، بيروت، لبنان، 2010.

2- الفيروزآبادي (مجد الدين محمد بن يعقوب) (2010)، القاموس المحيط، ضبط وتوثيق: يوسف الشيخ محمد البقاعي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان.

3- ملحقة سعيدة الجهوية (2009)، المعجم التربوي، تصحيح وتنقيح: عثمان آيت مهدي، المركز الوطني للوثائق التربوية، الجزائر.

4- ابن منظور (أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم) (د ت)، تح: عبد الله على الكبير وآخرون، دار المعارف القاهرة.

***الكتب:**

5- أوزي أحمد وآخرون (2011)، بيداغوجيا الإدماج التنظير والممارسة، ط (1)، مطبعة النجاح الجديدة، المغرب.

6- بن هادية علي وآخرون (1991)، القاموس الجديد للطلاب: تق: محمود المسعدي، ط (7)، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر.

7- بيشو عمر (2010)، ديداكتيك الكفايات والإدماج، مطبعة النجاح الجديدة، المغرب.

8- غريب عبد الكريم (2011)، بيداغوجيا الإدماج المفاهيم والمقاربات الديداكتيكية للممارسات الإدماجية، ط(2)، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء.

9- لورسي عبد القادر (2015)، المرجع في التعليمية، ط(2)، جسور للنشر والتوزيع، الجزائر.

10- معلوف لويس (2009)، المنجد في اللغة والأدب والعلوم، ط (19)، المطبعة الكاثوليكية، بيروت.